بسم الله الرحمن الرحيم

الهوية الإسلامية في مواجهة العولمة*

الدكتور/ عبده مختار موسى

رئيس قسم العلوم السياسية

(مجلة الاقتصاد والعلوم السياسية (العدد الأول يونيو 2005) تصدر عن كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة امدرمان الإسلامية).

منذ أن ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي كإنقلاب حضاري جديد في تاريخ البشرية أصبح مستهدفاً من قِبل الحضارات الأخرى لا سيما الغربية التي حاولتْ أن تنال منه عبر الحقب التاريخية المختلفة، وبمختلف الوسائل. فمن تحدي الفلاسفة الغربيين والباطنية، إلى حركة الإستشراق التي حاولت تشويه التراث الثقافي الإسلامي ونقل الإسلام مشوهاً إلى الغرب ونقل هذه الصورة المشوهة للمسلمين أنفسهم، إلى الحروب الصليبية، إلى تحدي الماركسية والملاحدة، وإلى فوكاياما وهنتجتون والعولمة كلها حلقات متصلة من مهددات الهوية الإسلامية. ولم تكن الهوية الاسلامية يوماً عبر التاريخ في مأمن من المهددات والتحديات الداخلية والخارجية.

ولا شك أن إنهيار الإتحاد السوفيتي السابق في بداية تسعينات القرن العشرين أصبح النظام الدولي الجديد وما انبثق عنه من عولمة هي أخطر التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية الإسلامية. ففي مطلع التسعينات نشر فرانسيس فوكاياما مقالته التي اعتبر فيها أن الديمقراطية الليبرالية قد انتصرت، وأن هذا الانتصار يشكل نهاية التاريخ.[1] ثم جاء صمويل هنتجتون بنظرية "صراع الحضارات" والتي فحواها أن النظام العالمي الجديد (نظام ما بعد الحرب الباردة) يقوم على صراع ثماني حضارات: الحضارة الغربية، واليابانية، والكونفوشيوسية، والهندوكية والأمريكية اللاتينية، والأرثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية، إضافة إلى الحضارة الإفريقية.[2] ويخشى هنتجتون أن يتغير ميزان القوى لغير مصلحة الغرب – ليس المصالح المادية فحسب بل قيمه وثقافته أيضاً. ويبرر هنتجتون مخاوفه هذه أن العداء للغرب يجمع بين الإسلام والكونفوشيوسية الأمر الذي يشكل خطراً للحضارة الغربية ولقيمها الإنسانية.[3] لذلك دعا هنتجتون إلى وحدة الحضارة الغربية أولاً في وجه الخطر الإسلامي. ومن هنا بدأت حرباً جديداً ضد الهوية الإسلامية. لذلك قبل أن نفحص آليات العولمة وأسلحتها في محاربة الإسلام وضرب هويته، ينبغي أن نقف عند مفهوم العولمة.

مفهوم العولمة:

في سبتمبر 1995 ألتقى زعماء العالم: جورج بوش ومار جريت تاتشر بقادة عالمنا الجدد من أمثال رئيس مؤسسة CNN ، وأقطاب العولمة في عالم الكومبيوتر والمال ، وكهنة الاقتصاد الكبار وأساتذة الإقتصاد في جامعات ستانفورد وهارفرد واكسفورد ومدير شركة الكومبيوتر الأمريكية (Micro-Systems) جون جيج (John Gage) [4] ، اجتمعوا ليعلنوا بداية عصر جديد في العالم ، هو عصر العولمة (Globalization) .كان ذلك بمثابة (إنفجاراً) في الحديث عن ظاهرة العولمة بإعتبارها ظاهرة جديدة ظهرت في التسعينات من القرن العشرين وخضعت للدراسة والإهتمام على المستوى الأكاديمي وأجهزة الإعلام والرأي العام والتيارات السياسية والفكرية المختلفة.

وفي خلال سنوات قليلة أغرقت أدبياتها الكثيفة وسائل الإعلام ودوائر البحوث والدراسات ولم تعد موضع إهتمام للاقتصاديين وعلماء السياسة أو المهتمين بالسياسة الدولية بل شمل ذلك علماء الاجتماع والفلاسفة والإعلاميين وعلماء البيئة . وذلك لأن قضية العولمة متعددة الجوانب ، متشعبة الأبعاد.

هناك من يرى أن العولمة هي مفهوم جديد لواقع قديم ظهر في الستينات من القرن العشرين عندما لاحظ مارشال ماكلوهان في تغطية التلفزيون لحرب فيتنام أن الشاشة الصغيرة حولت المواطنين من مجرد مشاهدين إلى مشاركين في اللعبة وأن العالم أصبح قرية صغيرة. ويرى ماكلوهان أن الإعلام الإلكتروني في وقت السلم يجعل من التقنية محركاً للتغير الاجتماعي. ثم أزداد رواج العولمة في الثمانينات وتبلور في التسعينات مع نهاية الحرب الباردة وظهور مفهوم النظام العالمي الجديد. لكن تمتد هذه الظاهرة إلى عصر النهضة الأوربية عندما بدأت القوى الأوربية تنشر نفوذها خارج القارة القديمة. [5]

وهناك من يرى أن العولمة فكر مدروس تم إيجاده بعد دراسات مستفيضة قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية ، وتم خلق المؤسسات اللازمة لإدارته ومنها الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي . وأصبحت عملية إستلاب الشعوب الأخرى وخيراتها تتم عبر العولمة وأدواتها كالشركات عبر القطرية المتعددة الجنسيات ، ويديرها أرباب المال العالمي عن بعد (الريموت كنترول) ، حيث مكنت العلوم الإدارية والاتصالات الحديثة من ذلك ، فأصبح نظام العولمة أشد ضراوة ونهباً من الاستعمار القديم ولكن بطرق جديدة غاية في الذكاء والدهاء. [6]

تعريف الظاهرة:

لقد ظهر أدب كثيف في تعريف مفهوم العولمة بعضها يركز على هذا الجانب أو ذاك من هذه العملية المتعددة الأبعاد . ولكن بما أن الظاهرة تتبدى أكثر في جانب المال والإعلام والثقافة فقد تم إختزال ظاهرة العولمة في أنها (عملية تنميط الأسواق والأذواق).

ولاحظ بعض الباحثين أن أهم دعامتين للعولمة هما المال والإعلام . لذلك تم دمج الكلمتين في مصطلح جديد هو المعلومالية (Info-financial) . وعلى الرغم من كثافة الأدب حول المفهوم إلا أن علماء الإجتماع قد تناولوا الظاهرة بعمق أكبر غطى كل أبعاد الظاهرة وذلك مثل البروفسير مالكولم ووترز (Malcolm Waters) أستاذ علم الإجتماع بجامعة تسمانيا بأستراليا ، وبارسونس (Parsons) ، وليفى (Levy) . كما تناول بعض علماء الاقتصاد العولمة بالتحليل مثل كير (Kerr) ودنلوب (Dunlop) وهاربسون (Harbison) وميرز (Myers) .

وعلى الرغم من أن كلمة "عالمي" – أو بتحديد أكثر دقة – "كوني" (Global) عمرها أكثر من 400 سنة ، إلا أن إستخدام مشتقاتها مثل العولمة: (Globalization)، و Globalize) ، و(Globalizing) ترجع إلى عام 1960 حينما إستخدمتها مجلة الإيكونوميست البريطانية عندما تحدثت عن زيادة إستيراد إيطاليا للسيارات . ثم إستخدمها قاموس ويبستر (Webster) في عام 1961 حيث قدم أول تعريف لمصطلح عولمة (Globalism) و(Globalization) . وفي 1962/10/5 أشارت صحيفة إسبكتاتور (The Spectator) إلى أن مفهوم العولمة هلامي وغير مستقر (Staggering) [7]

أكاديمياً لم يكن المصطلح ذا مغزى إلاّ في منتصف الثمانينات من القرن العشرين. لكن نجد اليوم أن عدد المطبوعات التي إستخدمت كلمة "العولمانية" (Globality) قد بلغت مئات الآلاف ؛ إلا أن استخدام كلمة 'عولمة' (Globalization) كعملية مستمرة (Processual) فهو نادر نسبياً. وحتى فبراير من عام 1994 ضم فهرس مكتبة الكونجرس الأمريكي حوالي (34) عنواناً فقط يحتوي على مصطلح العولمة أو أحد مشتقاتها.

إن أحد تعريفات العولمة التي قدمتها القواميس لمفهوم العولمة (كعملية) هو تعريف غير دقيق ولا يساعد على تحديد المفهوم بصورة دقيقة حيث يقول: أن العولمة هي "جعل الشيء عالمي؛ أو نشر الشيء على نطاق العالم." [8]

وهذا التعريف غامض ومبهم من زاوية سوسيولوجية . كما أن تعريف العولمة بهذه الطريقة يفرغها من مضمونها الأساسي حيث تتضمن النية والقصد لأن هناك جوانب للعملية تحدث بصورة تلقائية بتفاعل عوامل عدة . كما أن هنالك قوى عولمية (Globalizing forces) هي خارج نطاق سيطرة الإنسان أو الجماعات مثل ظهور السوق وتمدد التحديث الغربي على جميع أنحاء العالم ونحو ذلك.

وقدم البروفسير مالكولم ووترز تعريفاً للعولمة بأنها: "عملية إجتماعية تتلاشى فيها حدود الجغرافيا وتذوب فيها حواجز الثقافة وتزداد فيها عملية الإندماج بين الشعوب." (9) هذا تعريف مبسط وشامل . ولكن للعولمة عدة أبعاد تتمظهر في جوانب كثيرة من الحياة المعاصرة. وبالتالي يمكن الحديث عن ظاهرة لها سماتها وخصائصها . هي ظاهرة ترتبط بعمليات إجتماعية أخرى يطلق عليها "ما بعد التصنيع" (Post- Industrialization) ؛ لأن التصنيع يمهد إلى إزالة الحواجز بين المجتمعات كما تتسم بالعقلانية وإنحسار التأثير العاطفي أو الشخصي (depersonalization) في العلاقات الاجتماعية ، وتزداد أهمية التخصص المعرفي والفني وتطغى العقلانية على العمليات الطبيعية والإجتماعية . كذلك من سمات العولمة أنها تسبب زيادة كبيرة في قوة الطبقة الرأسمالية لأن العولمة تفتح أسواقاً جديدة لهذه الطبقة. ويرى ووترز أن عملية العولمة يمكن رصدها في ثلاث نطاقات في الحياة الاجتماعية:-

=إقتصادياً: تنطوي العولمة على ترتيبات إجتماعية للإنتاج وعمليات التبادل التجاري والتوزيع وإستهلاك السلع و الخدمات .

= سياسياً: تعني ترتيبات إجتماعية لممارسة السلطة خاصة بما يضمن تنظيم سلطة الرقابة والتحولات المؤسساتية لممارسة السلطة والدبلوماسية بما يفرض السيطرة وحسن إدارة الدولة وحماية أمنها وحدودها .

= ثقافياً: ترتيبات إجتماعية لإنتاج وتبادل الرموز والتعبير عن هذه الرموز التي تمثل الحقائق ، والمشاعر والمعاني والمعتقدات والتفضيلات والأذواق والقيم . (10)

وفي تحليل عملية العولمة يستعير البعض منهج ديركايم الخاص بالتكامل ، حيث يرى دوركايم أن التباين (differentiation) يؤدي إلى المزيد من التكامل لأن الوحدات الإجتماعية المتباينة هي الأقل إكتفاءً بذاتها وتحتاج للتبادل في مجال الموارد الاجتماعية (مثل المواهب والقدرات والمهارات والمعرفة ورأس المال و السلع وغيرها) وكلها يجب أن تكون قابلة للتبادل . والتبادل في هذه المجالات هو من مظاهر الحداثة والتي تنطوي على الحراك وإزالة الحدود التقليدية مثل الحواجز الإجتماعية والعرقية . وتمتد عملية الحراك هذه لتشمل القيم حيث يميل نظام القيم في المجتمع الحديث إلى العالمية (Universalism) وهذه الشمولية في القيم تحمل مضامين واضحة لإتجاهات العولمة. وهنا يكمن خطر العولمة على الهوية الإسلامية.

ويحدد بارسونس (Parsons) أربع سمات عالمية تنطبق على كل مجتمع وهي :

التقنية وصلة القرابة واللغة والدين . كما يرى في سياق تطور المجتمعات سمتين أساسيتين للمجتمعات الوسيطة أو الانتقالية (مثل الإمبراطوريات القديمة والإقطاعية) وهما الطبقية والخصوصية الثقافية. كما يحدد بارسونس أربع خصائص عالمية إرتبطت بظهور المجتمعات الحديثة

وهي :- التنظيم البيروقراطي ، والنقود والأسواق ، ونظام قانوني عالمي والديمقراطية.[11] أما ليفي (Levy) – تلميذ بارسونس – فقد تناول علاقة التحديث بنظام التداخل المجتمعي (Inter-societal) ويختزل ليفي العولمة في التحديث .

ويرى ليفي أن عملية العولمة تنطوي على عمليات توجيه القيم (Value – orientation) في سياق عالمي (Universalistic) . وتقوم هذه القيم على فلسفة أن الفرد يتصرف بحسب الحالة بغض النظر عن هذه الحالة وأن العلاقات الإنسانية تتسم بالعقلانية والعالمية و التخصص الوظيفي والبعد عن العاطفة.

ويرى كير (Kerr) و دنلوب (Dunlop) وميرز (Myers) أنه في سياق سعيها للحصول على المزيد من التقنية فإن المجتمعات تكيف نظمها الإجتماعية تبعاً لذلك . وأن التطور التقني يحدد أنماط العلاقات الاجتماعية أكثر من غيرها. ولكن بطبيعة الحال ينداح أثر التقنية إلى معظم جوانب الحياة الإجتماعية . ويرى كير أن المجتمعات الصناعية تطور نسق قيم متطابق يتمركز حول المادية، الالتزام بالعمل ، التعددية والإنجازات الفردية. [12] وبالطبع فإن خطورة العولمة هنا تكمن في إنتقال (نسق القيم) الخاص بهذه المجتمعات الغربية – عن طريق العولمة – لتغمر كل المجتمعات غير الغربية وتطبعها بطابعها الثقافي والحضاري.

نحن الآن أمام معطيات محددة تفرزها العولمة من أبرزها أن العولمة مصدرها ومركزها الغرب ؛ وأن العولمة ليست هي أدوات ووسائل تقنية حديثة أو أنماط إنتاج جديدة بل هي مضامين قيمية وثقافية. لذلك يكون للخوف من الظاهرة ما يبرره والتحفظ في التعامل معها واجب. لذا ينظر الكثير من المفكرين والباحثين في عالمنا العربي والإسلامي إلى الجوانب الخفية لبريق العولمة. إن نقد الظاهرة لا يعني الانغلاق أو الرفض المطلق لها (وهو موقف غير ممكن في الواقع) بل ينطوي النقد على تجاوز حالة الإنبهار والدعوة لتشكيل رؤية وصياغة منهج للتعامل مع الظاهرة بما يحفظ هوية (الآخر) في خضم عالم متعولم بسرعة مذهلة لا تنتظر المتفرجين ولا ترحم المنبهرين. إن القراءة الناقدة للعولمة تكشف حقيقة مضامينها بإعتبارها ظاهرة جديدة في سياق التفوق والسيادة الغربية على العالم : " العولمة تعميم لنموذج حضاري استهلاكي أمريكي على العالم ."[13] لذلك يصف البعض العملية بأنها محاولة لأمركة العالم (Americanization) .

وبما أن العولمة مصدرها هذا الغرب الاستعماري والقوي فإن هذه الظاهرة تبدو ككائن خارق الإمكانات ، خارق القوى يتهيأ لإفتراس ما يقع بين يديه على المستوى العالمي من جماعات ودول وشعوب . "وتأتي الأمة العربية والإسلامية في مقدمة الفرائس التي تستشعر الخطر لأنها تتمع بمضمون ثقافي له دور فعال وأصيل على المستوى العالمي .. لذلك يكون فريسة نموذجية لهذا الكائن (العولمة). وهي نظام يهدف إلى أن يلغي كل (الأغيار) ويدمج كل التنوعات في صيغته الخاصة

ويمتص ويستحوذ على كل المقدرات في الطبيعة وفي الإنسان لمصلحته الخاص."[14] وتبرز هذه المصلحة الخاصة بالغرب (مركز العولمة) من خلال الإحصائيات التي تشير إلي أن 20% فقط من سكان العالم في ظل العولمة يمكنهم الحصول على عمل والحصول على دخل والعيش في رغد وسلام. أما بالنسبة (80%) فتمثل السكان الفائضين عن الحاجة ، الذين لا يمكنهم العيش إلا من خلال الإحسان والتبرعات وأعمال الخير . ومع العولمة يزداد تركيز الثروة وتتسع الفروق بين البشر والدول إتساعاً لا مثيل له. فهناك مثلاً 358 ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه 2,5 مليار من سكان المعمورة – أي نصف سكان العالم . كما أن 90% من مكاسب العولمة تعود على الأغنياء فقط. [15] إذن العولمة ضد العدل ولا تحقق السلام الاجتماعي للعالم ، ولا شك في ان العرب والمسلمين هم على رأس قائمة الضحايا .

في نظر بعض النخبة العربية تشكل العولمة تحدياً بمنطق (نكون أو لانكون) ؛ "إننا مقبلون على ماراثون وصراع البقاء في ظل العولمة التي هي ليست فقط سياسية أو إقتصادية أو عسكرية وإنما ثقافية وإدارية وإجتماعية ." [16]

إن الإسلام نفسه بوصفه دين سماوي يتسم بالعالمية ، وعالمية الإسلام تختلف عن الأممية الماركسية التي تقوم على تهميش الفرد وإضاعة حقوقه وذوبانه في إشتراكية وهمية لا تحقق الخير للمجتمع . وكذلك تختلف عالمية الإسلام عن العولمة (الغربية) التي تقوم على رأسمالية تكرس الفرق بين الطبقات وتزيد من فقر وظلم الطبقات الفقيرة في المجتمع وتزيد من افقار دول العالم غير الغربية . عالمية الإسلام تدعو للعدالة والإخاء والمساواة بين بني البشر : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .[الحجرات : الآية 13].

نحن الآن – في العالم العربي الإسلامي – نتعولم من خلال تعاطينا لأدوات العولمة من فضائيات وتجارة الكترونية وهاتف جوال وإنترنت ، ومن خلال تفاعلنا مع قيم وإفرازات ظاهرة العولمة . ومن خلال هذا التفاعل العولمي نتنازل (لا إرادياً) عن خصوصيتنا الثقافية ، ونتشرب تدريجياً قيم جديدة وأفده هي قيم الغرب.

إذن تكمن الخطورة في أننا نتعولم دون أن نهيئ أنفسنا لذلك بمنهج أصيل يرتكز على منطلقاتنا العقدية – وتلك هي مهمة التأصيل .

إن الحديث عن التأصيل الإسلامي في ظل العولمة يستلزم إستصحابنا لمعطيات العولمة خاصة في مجال الإعلام والثقافة والفكر وما يرتبط بهذه المكونات من هجوم علماني متقن على الإسلام وعلى ثوابت الأمة العقيدية والقيمية وهويتها وما تستهدفه من إضعاف لحصانة الأمة و فاعليتها في مواجهة الغزو الخارجي.

إن العولمة تستخدم أسلحة فاعلة لإحداث هزة في الهوية الإسلامية وذلك من خلال أدواتها المختلفة وبخاصة الإعلام. فالإعلام هو مدخل أساس في استهداف هوية الأمة الإسلامية. لذلك ينبغي النظر لمخاطر العولمة من الزاوية الإعلامية الثقافية. وهذا يعني تناول البعد الإعلامي والثقافي للعولمة من منظور إسلامي. وهذا بدوره يعني تقاطع ثلاث دوائر :

1/ علاقة الغرب بالإسلام ؛ 2/ الإعلام الغربي (نشأته وفلسفته)؛ ثم 3/ سيطرة اليهود على الإعلام الدولي ، وما يرتبط بذلك من آيديولوجية صهيونية معادية للإسلام – عداء تاريخي.

الإعلام الدولي كمهدد للهوية الإسلامية:-

في مواجهة إعلام العولمة يجب أن نعي بأن الإعلام الإسلامي لا يعمل في فراغ، وإنما يعمل في إطار – بل وفي مواجهة – إعلام غربي يسيطر على الإعلام الدولي ويؤثر على الرأي العام العالمي بما في ذلك المجتمعات المسلمة. لذلك ينبغي دراسة الواقع الإعلامي الدولي وأهم اللاعبين فيه وسمات هذا الإعلام الدولي وطبيعة القوى التي تسيطر عليه وتضع (أجندته) وتحدد إتجاهه.

إن الواقع الدولي الراهن الذي يتفاعل معه الإعلام الإسلامي قد شهد طفرات كبيرة في مجال الإعلام والمعلومات منذ الثورة الصناعية الثالثة التي "إرتكزت على إنتاج العقل البشري المتدفق واللانهائي من الأفكار والمعلومات والمعرفة المكثفة خاصة في مجالات الاتصالات والمعلومات والفضاء والحاسب الآلي والالكترونيات الدقيقة والهندسة الوراثية." [17] وإزاء هذا الواقع الدولي المتعولم فإن على الإعلام الإسلامي أن "يوظف تكنولوجيا الإتصال وما وصل إليه العلم من وسائل وأجهزة متقدمة تخدم الدعوة الإسلامية ... والإسلام لا يحارب الوسائل الحديثة ما دمنا نستخدمها في خدمة الإسلام."[18]

ونحن كجزء من منظومة العالم الثالث ودول الجنوب الفقيرة (أو الدول النامية) وبالرؤية المشوهة التي يرانا بها الغرب – نتأثر ضمن تلك المنظومات بالإعلام الدولي الذي تحتكره دول الشمال الغني والغرب المتحكم على تكنولوجيا الإتصال . وهذا الإعلام الغربي الدولي يرتكز على فلسفة تختلف مع عقيدتنا ويعمل وفق نسق قيم ومعتقدات تختلف عن منطلقاتنا العقائدية. والإعلام الغربي يعمل لصالح دول الغرب (اللاإسلامية) وبذلك تنتفي الموضوعية في التغطية. ونحن في هذا الوضع الدولي لإعلام غير متوازن وغير متكافئ ولا يقوم على مبادئ تخدم الإنسانية بتجرد تلح علينا الحاجة إلي ضرورة عمل إجراء وقائي في مرحلة أولى تتدرج إلى أن تصل إلي مرحلة بناء إستراتيجية متكاملة لإعلام رسالي واع بدوره في الكون.

وتبرز أهمية تأصيل – أو أسلمة – الإعلام، كمفهوم وعملية ومؤسسات، تبرز من أننا نواجه هجمة ثقافية وحرب أفكار تتخذ وسائل الإعلام آليتها الفاعلة لتحقيق الهدف. وقد إستخدم المستشرفون لتشويه الثقافة الإسلامية وسائل وأساليب عديدة ، منها المباشر الواضح وتشمل دوائر المعارف ،

الكتب ، الإذاعة ، التلفزيون ، والوسائل غير المباشرة هي تلاميذ المستشرقين الذين تأثروا بأفكارهم وشعاراتهم فأصبحوا يتبنونها ويبثونها بين أبناء الأمة العربية والإسلامية في كل مجالات الحياة الفكرية ، و التربوية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها .

يقول أحد الباحثين الغربيين "إن العالم الذي نتعامل معه سياسياً هو خارج نطاق وعينا وإدراكنا لذلك يجب أن نتخيله . وهذا هو دور الإعلام بأن يرسم لنا صورة عنه ."[19] هكذا يرى أحد الباحثين في الغرب أهمية ودور الإعلام في تشكيل الصورة الذهنية للغرب عن الآخر . أن الإعلام الغربي كمؤسسة من مؤسسات الحضارة الغربية الحديثة يقوم على فرضية أساسية وهي تفوق الإنسان الغربي النوعي على غيره من البشر.

وهنا ينبغي أن نأخذ في الإعتبار أن المثقف والإعلامي الغربي هو أسير ثقافته الغربية . وهي ثقافة مؤسسة -تاريخياً – على تلك النظرة الاستعلائية . وأن المسلم يوجد في أسفل سلم الدونية في ذاكرة ومخيلة الغرب حيث تأسست الصورة الذهنية الثابتة بأن المسلم – والعربي – هو متخلف وبربري وهمجي ينزع للحروب ويلجأ للعنف؛ وأنه متطرف (extremist) ومتشدد (radical). وطالما بقي الإسلام في نظر الدوائر المعادية على أنه تهديد أصولي فأن الإسلام سيبقى مادة محورية للإعلام الدولي كما كان عليه الحال في الربع الأخير من القرن العشرين . وهذه النظرة الغربية للإسلام لها جذورها التاريخية وإطارها الثقافي حيث يتأثر الإعلام الغربي بتلك الصورة الذهنية التي إبتدعها الغرب حول المسلمين والعرب . وظل يعيد الغرب إنتاج تلك الصورة الذهنية (image) جيل بعد جيل حتى ترسخت لدى الرأي العام الغربي وإمتد تأثيرها (عبر الآلة الإعلامية الفضائية) إلى الرأي العام العالمي .

وعلى خلفية هذه النظرة الغربية – التقليدية للعرب والمسلمين تتم معالجة الرسالة الإعلامية الخاصة بتغطية الأحداث في الدول العربية والإسلامية أو في إختيار وتحرير الرسالة الموجهة لتلك المناطق . وقد إعترف عضو الكونجرس الأمريكي السابق بول فيندلي (Paul Findley) بهذا الانحياز الأمريكي ضد العرب ولصالح الإسرائيل وذلك في كتابه "من يجرؤ على الكلام ." حيث يرى فيندلي أن هذا الإنحياز في تغطية الإعلام الأمريكي للشرق الأوسط يعود إلي نجاح جهود اللوبي الإسرائيلي في السيطرة على وسائل الإعلام الأمريكي بشن حملة إحترافية لتهديد وسائل الإعلام بمختلف الوسائل . ومن تلك الوسائل جملة تهديدات يتلقاها المحررون ودوائر الإعلان مثل المقاطعة المنظمة والافتراءات وحملات التشهير الشخصية . وهذه هي الأسلحة التي تستعمل ضد الصحفيين المصنفين بأنهم محايدون وإجبارهم على عدم نشر أي خبر يتعارض مع المصالح الإسرائيلية. (20) وقد شمل التهديد حتى بأن الصحفي سوف يفقد وظيفته – لأن معظم وسائل الإعلام الرئيسية في أمريكا يسيطر عليها اليهود . وإذا قرأنا هذه الخلفية مع سيطرة اليهود على الإعلام الأمريكي ونفوذهم

السياسي على إتخاذ القرار في السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط لأتضح لنا حجم خطورة الإعلام الغربي على الإسلام .

الإعلام والعولمة:

تعود علاقة الإعلام الدولي بالعولمة إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما ظهرت قنوات الاتصال الدولي المتمثلة في وكالات الأنباء العالمية. واستمر احتكار الغرب للإعلام الدولي إلى عصرنا الراهن - عصر الكومبيوتر والأقمار الإصطناعية (الفضائيات) والإنترنت . ونتيجة للتدفق الكبير والسريع للأخبار والمعلومات فقد عرف العصر الحديث بعصر إنفجار المعلومات. واستمر الغرب هو مصدر هذه الثورة وأن دور العرب هو دور المتلقي أو المستهلك في الأساس دور المتلقي وليس دور المبدع، دور المستهلك وليس دور المنتج . ومن خلال سيطرة الغرب على الإعلام الدولي فإن ثقافة الغرب تقهر الثقافات الأخرى.

وبديهي أن هذه المعلومات تنقل ثقافة الغرب. لذلك ينبغي التعامل مع هذه الثورة بمضمونها حيث تحدث البعض عن "آيديولوجيا المعلوماتية والإتصال والإعلام ... وأن هذه الثورة التكنولوجية ثورة بمعنى الكلمة، فهي حركة ترتب تحولات كيفية في مجالات عديدة من المعرفة العلمية النظرية والتطبيقية ... أو كما قال كون (Kuhn) : إنها ثورة تفترض الإنتقال من نظام مفاهيمي قديم إلى نظام مفاهيمي آخر جديد." [21]

ويأتي القلق العربي الإسلامي من ثورة المعلومات هذه بسبب هذا البعد القيمي - الآيديولوجي . ذلك لأن في الثقافة العربية الإسلامية موقف يرفض أن العلم محايد أو أن الأدب والفن محايد وكذا الرسالة الإعلامية المعولمة بالتقنيات الفضائية الحديثة ."فالمسألة ليست أنهم يعرضون علينا أفلاماً إباحية ، ولكن في الواقع أنهم ينقلون قيماً أخلاقية بإستمرار وأنماطاً حياتية حتى لو كان الفيلم لا يحمل أي مشاهد للإباحية أو العنف ."[22]

إذن من الخطأ أن ننظر – في سطحية – لوسائل الإعلام الغربية (الدولية) بأنها تنقل المتعة والتسلية والترفيه ، إنها تنقل أفكاراً وقيماً وهي ذات طبيعة سياسية وليست تجارية حيث أن "الكثير من الدول تسعى إلى نشر وترقية لغاتها وثقافاتها ورؤيتها للعالم والمجتمع ... فمثلاً هناك إجماعاً بأن البي بي سي تنشر الرؤية الإنكليزية والغربية للعالم." [23] وينطبق هذا على الإذاعات والفضائيات الدولية الأخرى . إن هذا البعد القيمي والفكري الذي يحمل مضامين الرسالة الإعلامية الدولية ينبغي أن يمثل قلقاً للعرب والمسلمين خاصة في عصر العولمة الراهنة.

ونسبة لإدراك اليهود لأهمية المعلومات والإعلام فقد سيطروا منذ فترة طويلة (وما زالوا يسيطرون) على الإعلام الدولي.

النفوذ الصهيوني في الإعلام الدولي:-

في بروتوكولات حكماء بني صهيون تقرأ هذه العبارات " يجب أن لا يصل أي طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يحظى بموافقتنا ، ولذلك لابد لنا من السيطرة على وكالات الأنباء التي تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم ، وحينئذ سنضمن أن لا ينشر من الأخبار إلا ما نختاره نحن ونوافق عليه. " [24]

نجد أعرق وكالات الأنباء الدولية (رويتر) أسسها اليهودي الألماني جوليوس باول رويتر. وكان اسمه حتى العام 1844 هو (إسرائيل بيير جوازفات). كما سيطر اليهود على أعرق الصحف في العالم . في بريطانيا – مثلاً – نجد أن صحيفة (التايمز) قد سيطر عليها اليهود بالمال منذ صدورها في عام 1788. ثم تحولت ملكيتها في عام 1908 إلى اليهودي الفيوكونت نورثكليف وآخرين. وعندما أفلست في نهاية القرن العشرين وكادت أن تتوقف أنقذها اليهودي الأسترالي (روبرث ميردوخ) حيث قام بشرائها وتحمل جميع خسائرها التي بلغت 45 مليون دولار أمريكي .

كذلك سيطر اليهود علي (الصنداي تايمز) ، و(الديلي تلغراف) ، و(الديلي اكسبريس) و(الديلي ميل) و(النيوز كرونكيل) و(الديلي هيرالد) ومجلة (الاكنومست)ومجلة (الويك اند) . وسيطر اليهود على الصحافة الأمريكية حيث تعود محاولاتهم إلى القرن التاسع عشر عندما سيطر اليهود على (النيويورك تايمز) في عام 1896 . ثم سيطروا على (الواشنطن بوست) في عام 1933. ثم امتدت سيطرتهم الى الديلي نيوز والنيويورك بوست ثم إلى المجلات مثل (التايم) ومجلة النيوز ويك في عام 1937 . كذلك يمتلك اليهودي ميردوخ عدداً من الصحف الأمريكية مثل النيويورك بوست . وإمتد النفوذ الصهيوني للصحف الفرنسية مثل (لوفيقارو) ومجلة (لوإكسبريس Le Expresse) ومجلة (نوفو كاييه) وغيرها ، "علماً بأن الجالية اليهودية في فرنسا لا تزيد عن 700 آلف نسمة." [25]

ومنذ القرن التاسع عشر (1830) نشطت الدعاية الصهيونية وقادت حملات واسعة ضد الإسلام ابتداءً من محاولة إضعاف دولة الخلافة العثمانية وذلك لتهيئة الأجواء بتنفيذ مخطط ماكر للقضاء على الخلافة الإسلامية باعتبارها الرمز الذي يلتقي حوله المسلمون جميعاً وقد انحصر دور الدعاية الإعلامية اليهودية في عدة مجالات منها:

1- تشويه صورة الأتراك المسلمين بإظهارهم بمظهر سفاكي الدماء ، المنغمسين في الفساد والانحلال ، وذلك بقصد إذكاء الحقد الصليبي الأوربي ضد الأتراك المسلمين .

2- تحريك غرائز الطمع الاستعماري الصليبي وإغراء الأوربيين بسهولة الانقضاض على بعض أجزاء الدولة العثمانية وقد نجحت الدعاية الصهيونية في ذلك .

3- أشعلت الفتنة بين الدروز والنصارى في سوريا ولبنان وسارعت باتهام الدولة العثمانية بأنها وراء الفتنة .

4- نجحت الدعاية الصهيونية نجاحاً كبيراً في تحقيق الهدف على يد مصطفي اتاتورك ، الذي صورته الدعاية الصهيونية في صورة المنقذ .

5- سارعت في تشويه صورة العرب والمسلمين بتشويه التاريخ الإسلامي العربي وتذكير النصارى بخطر الإسلام على النصرانية .

وقد إستمر ذلك المخطط الصهيوني وذلك من خلال التعتيم الغاشم الذي تتعرض له قضايانا الإسلامية مثل فتك الروس بالمسلمين في البوسنة والهرسك والشيشان وألبانيا والأراضي المحتلة وكشمير وأفغانستان والعراق.

وقد ظل هذا التدفق الإعلامي يسير في اتجاه واحد من الدول الغربية إلى دول العالم الثالث (العربي والإسلامي). ولكن ما يُغطَّي من أخبار العالم الثالث لا يتعدى الجوانب السلبية من كوارث وحروب ونزاعات وأزمات واضطرابات وعنف دموي ونحو ذلك . وبالطبع توظف القوى الدولية وسائل الإعلام من أجل خدمة أغراضها الاستراتيجية والسياسية والثقافية وذلك يتمثل في كثافة الإرسال ومحتواه. والملاحظ أن إذاعات الدول الغربية تتحكم في 90% من الموجات الإذاعية . فالولايات المتحدة لها 187 مركزاً إعلامياً في 111دولة وتوزع حوالي 200فيلم سنوياً إلى جانب الكتب والمجلات ، كما أن إذاعة صوت أمريكا تبث 1000ساعة في الأسبوع بعشرات اللغات. [26]

ويمتد النفوذ اليهودي في داخل الولايات المتحدة وخارجها حيث لهم 224 صحيفة و 158دورية في الولايات المتحدة ، و30 دورية في كندا ، و348 صحيفة ودورية في أوروبا وحوالي 158 صحيفة في أمريكا اللاتينية. وتزداد كثافة السيطرة اليهودية على التلفزيون بما له من تأثير في كل نسيج المجتمع الدولي. ويمارس اليهود بث الرؤية الصهيونية من خلال هذه الفضائيات والتأثير على الرأي العام العالمي وتنتج هذه الشبكات أفلاماً وبرامج يهودية داعمة للحركة الصهيونية لإقناع الرأي العام الأمريكي بأن اليهود يشتركون معهم في عقيدة واحدة وبان اليهود أبرياء من دم السيد المسيح عليه الصلاة والسلام وتسعى لإقناع الرأي العام الدولي بأن اليهود هو شعب الله المختار وأنهم مضطهدون وأن العرب برابرة وإرهابيون .

كما يسيطر اليهود على السينما العالمية لإدراكهم بخطورتها رغم إكتشاف التلفزيون . فمازال الشباب في العالم الثالث يتدافع لدور السينما لما لها من إغراء وجاذبية ولأنها تعرض الأفلام المثيرة رغم وجود رقابة في بعض الدول. وهذا يعني ضرورة أن تنتبه السلطات في الدول المسلمة إلى نوعية ومضمون الأفلام المستوردة. لقد إهتم اليهود بصناعة السينما . لذلك نجد أن رواد السينما العالمية وخاصة الأمريكية معظمهم من اليهود . ومن هؤلاء اليهود الألماني الجنسية كارل مايرء

واليهودي الروسي الجنسية سيرجي آينشتاين ، والأمريكي ديفيد روك غريفيت الذي يعتبر شيخ السينمائيين الأمريكيين اليهود. ورويداً رويداً أصبح اليهود سادة صناعة السينما العالمية من خلال إمتلاكهم لأشهر شركات الإنتاج السينمائي العالمية وخاصة الأمريكية . وتشير الإحصائيات إلى أن أكثر من 90% من مجموع العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي ، إنتاجاً ، وإخراجاً ، وتمثيلاً ، وتصويراً ، ومونتاجاً ، هم من اليهود . [27]

وترجع سيطرتهم على السينما الأمريكية لعام 1909م حيث سيطروا على أول شركة إنتاج سينمائية أمريكية هي فيناغراف والتي تخصصت في إنتاج أفلام سينمائية صهيونية . ويسيطر اليهود سيطرة شبه تامة على شركات الإنتاج السينمائي في عاصمة السينما الأمريكية هوليود ، فشركة فوكس يمتلكها ويليام فوكس وشركة يونفيرسال يمتلكها كارل ليمل ، وشركة غولدين يمتلكها اليهودي صامويل غولدين واليهودي أودلن زوكور ، وشركة مترو يمتلكها اليهودي لويس ب. ماير والذي كان حاخاماً وقد ورد في صحيفة الأخبار المسيحية الحرة 1938/4/1م (Christian Free News) أن صناعة السينما في أمريكا هي يهودية بأكملها ويتحكم اليهود فيها دون أن ينازعهم في ذلك أحد ، ويطردون منها كل من لا ينتمي إليهم ، وجميع العاملين فيها هم إما من اليهود ، أو من صنائعهم .

و بسببهم أصبحت هوليود "سدوم" العصر الحديث ، حيث تُنحر الفضيلة ، وتنتشر الرذيلة ، وتُسترخص الأعراض ، وتُنْهَبْ الأموال دون رادع أو وازع ، وهم يرغبون كل من يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الإجرامي تحت ستائر خادعة كاذبة ، وبهذه الأساليب القذرة أفسدوا الأخلاق في البلاد ، وقضوا على مشاعر الرجولة والأحساس ، وعلى المثل العليا للأجيال الأمريكية واختتمت المجلة كلامها بالقول : ((أوقفوا هذه الصناعة المجرمة لأنها أضحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعايتهم المضللة الفاسدة)). [28]

ويظهر تأثير اليهود على صناعة السينما في ظهور أفلام مسيئة للعرب والمسلمين في وقت مبكر لاختراع السينما ، "ففيلم الليالي العربية" ظهر في عام 1905 م ، وفيلم "الشيخ " الذي مثله رودلف فالنتينو في عام 1921م ، وهما فيلمان يصوران الحياة الاجتماعية للعرب المسلمين بصورة مشوهة من خلال التركيز على إظهار العربي بمظهر الرجل الشهواني الذي يملك عدداً غير محدود من النساء اللواتي يحشرهن في "الحريم" كالسجينات... [29]

في الواقع يسيطر اليهود على السينما العالمية في كل جوانبها ، الإنتاج ، والإخراج ، والتمثيل .. والممثلين إما هم يهود ليتبنون القضية بإخلاص أو أن اليهود نجحوا في إستمالتهم فصاروا (ملكيين أكثر من الملك) مثل الممثلة جين فوندا التي إرتمت في إحضان الصهيونية وممثلة فيلم (تقلب) الذي يظهر العرب بصورة بشعة . وقد نقلت عنها مجلة الوطن العربي في عددها رقم 267 خبراً من مقابلة تلفزيونية أجراها التلفزيون الفرنسي بمناسبة عرض فيلمها هذا في باريس فقالت :

"إن أكبر خطر يواجه أمريكا اليوم هو خطر العرب ببترولهم ودولاراتهم ، وقد أنتجتُ هذا الفيلم لأثبت ذلك للعالم كله."[30]

وبالإضافة إلى سيطرة اليهود على الإعلام الدولي كذلك هناك مجموعات إعلامية مسيحية موجهة للعام الإسلامي وهي تحارب الإسلام وتسهم في العمل التنصيري ، من أبرزها :- الرابطة الدولية الكاثولوكية للراديو والتلفزيون؛ الرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين؛ الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية ؛ المنظمة الدولية للإعلام المسيحي؛ صوت الإنجيل؛ إذاعة "بالحب الأبدي نكسب إفريقيا" ؛ إذاعة صوت طنجة؛ إذاعة صوت مونت كارلو؛ راديو ألْوَا وهي إذاعة أمريكية مسيحية تُبَثْ من ليبيريا.وتستخدم ثلاثة من هذه المنظمات المسيحية الموجات القصيرة لتبث 20,000 (عشرين ألف) ساعة في الأسبوع بحوالي 125 لغة مما يجعل هذه المنظمات الإعلامية المسيحية أقوى القنوات الدولية . [31]

إذن يقع العالم الإسلامي بين فكي اليهودية والمسيحية ويسعى كلاهما لإستغلال وسائل الإعلام المختلفة لتدمير الإسلام . وقد صدق القرآن الكريم عندما أشار إلى مكر هذه الملل: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتَّبع ملَتهم" [سورة البقرة : الآية 120]

ويسعى الإعلام الغربي الذي تسيطر عليه اليهودية والمسيحية إلى إعادة إنتاج ونشر تلك الصورة النمطية السيئة عن الإسلام والمسلمين والعرب . ويسعى لتدمير الإنسان المسلم – حامل الدين والثقافة . ويسعى الإعلام الغربي لتفريغ نفس الإنسان المؤمن من نعمة اليقين وطمأنينة الدين إلى إنسان (عصري) بلا يقين ، يهجر الدين و "يهيم في جنة إفتراضية ميكانيكية معلبة ." [32] ، ليسهل للغرب إثارة مخاوفه وقلقه ويمكن غسل دماغه ليغرس فيه أفكاراً جديدة تؤمن بالأوهام والخرافات والعرافين والدجل والشعوذة .

لقد إجتمع العرب في مؤتمرات كثيرة وقرروا أن يتصدوا للهيمنة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمي. لكن تظل قراراتهم حبراً على ورق إذ كل يوم تزداد قبضة اليهود على أقوى وأحدث هذه القنوات. واستمر اليهود يكيدون للمسلمين عبر هذه الأجهزة . وهذا الكيد أشار إليه القرآن الكريم. (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا.) [البقرة الآية:217]

لقد أصبح الأعلام الغربي يتحدث عن الإسلام والحركات الإسلامية بتشويه متعمد ويثير المخاوف حول كل ما هو إسلامي حتى أصاب الغرب مرض الخوف من الإسلام (إسلامفوبيا).

وإنتقلت هذه الحساسية من الغربيين إلى "أوساطنا الثقافية والسياسية بدرجات متفاوتة ، حتى أن إحدى الدول العربية غيرت إسم وزارة الشؤون الإسلامية إلى الشؤون الدينية علماً بأن 99,5% من سكانها مسلمون – وقيل أن سبب التغيير هو تجنباً للحساسيات ... كما أن بعض المثقفين العرب أخذ يستخدم عبارة "القيم الروحية" بدلاً عن "القيم الإسلامية."[33] في استحياء من استخدام ذلك المصطلح. ويعود

هذا الرعب والتخوف من الإسلام إلى: "الجهل بالإسلام ، حساسية الآخرين إزاءه ، وافتقادنا نموذجاً يقدم قيم الإسلام إلى الناس ويجسد مقاصده ، ثم الأخطاء والحماقات التي يرتكبها بعض المسلمين وتنسب إلى الأمة في مجموعها."[34]

وباستخدام الإعلام يؤثر الغرب على الهوية من المدخل الثقافي.

البعد الثقافي للعولمة:-

يرى ماكلولم ووترز أن عملية العولمة تتم بصورة أسرع عبر السياقات التي يتم فيها بناء العلاقات بواسطة الرموز . أن عملية تداول السلطة (الجانب السياسي) والتبادل المادي (الجانب الاقتصادي) بدأ يحل محلها نسق العلاقات الذي يقوم على نظام القيم ، والأفضليات والأذواق . وعلى خلفية هذا المنطق يمكن النظر للعولمة على أنها عملية '' ثقفنة (Culturalization) للحياة الاجتماعية."[35]

ويلاحظ مالكولم أن عملية العولمة تتم بصورة أسرع وأكثر فعالية عبر الثقافة مقارنة بالمجالين الآخرين (الاقتصاد والسياسة). ودعم رأيه هذا بأخذ الدين كمثال لذلك حيث يرى أن الأديان ظلت لعدة قرون تحمل مضامين عالية تربط بين مختلف الشعوب والأجناس وكمثال لذلك أشار إلى البوذية ، المسيحية ، الكونفوشية ، الإسلام والهندوسية ، حيث بقيت هذه الأديان – بما تحمله من قيم وولاء ات – فوق الدولة وفوق الاقتصاد. ولاحظ أن الاقتصاد والسياسة بدأتا في التعولم عندما إتجهتا إلى تبني قيم عالمية مثل إتجاه الدولة بالالتزام بقيم الديمقراطية المواطنة، والرفاهية كما حملت الرأسمالية في طياتها الالتزام بقيم الفردانية ، العقلانية ، والخصوصية. وفي خلال القرن العشرين تجلى الصراع بين الجوانب المختلفة لأنساق القيم في ظهور آيديولوجيات إقتصادية – سياسية عولمية (Universalizing)كالشيوعية ، والتيار المحافظ، والفاشية واللبرالية والاشتراكية. ومثل المسيحية والإسلام فقد إدعت هذه التيارات بأنها ذات توجه عالمي (global relevance). ويرى مالكولم أن الثقافة المتعولمة (globalized Culture) تسمح بالتدفق المستمر للأفكار والمعلومات والقيم والأذواق تحملها الرموز والوسائط الإلكترونية. وهذه التدفقات – كما يرى فيثرستون – (Featherstone 1995) تعطي الثقافة المتعولمة طابع مميز. [36]

ويرى مالكولم أن العولمة بهذا الطابع الثقافي تشكل تهديداً كبيراً للخصوصية الثقافية وللأديان ، لأن هذه الثقافة ترتبط بالتحديث ، والتحديث يدمر التماسك القيمي والاجتماعي لأنه يؤدي إلى عزل الأفراد والأسر ويهدد القيم المقدسة ، ويفرض قيم جديدة.

وبالتالي يواجه الإسلام عولمة تحمل تفضيلات ثقافية تميل إلى إستيعاب وتذويب الخصوصيات المحلية . وهذا يعني على الأمة الإسلامية أن تدافع عن نفسها في مجال حقوق الإنسان، الديمقراطية ووضع المرأة, كما تنطوي هذه الثقافة المتعولمة على علمنة الدولة والمجتمع ، وأن

"العالم متعدد في تركيبه (Pluralistic) ويندفع على عجلة الاختيار الحر (Choice driven) وليس هناك ثقافة سائدة ."[37]

ويلخص البروفسير ووترز العولمة بالقول:

“Material exchanges Localize; political exchanges internationalize; and symbolic exchanges globalize”

وهذا يعني أن الثقافة هي أقوى أداة لتحقيق العولمة . وترتبط بالثقافة هنا عملية تبادل الرموز وإنتقال الأفكار وتنميط الأذواق والقيم وتوحيد المشاعر وأنماط السلوك ؛ وتشكل جسراً يربط بين الشعوب تذوب أمامها الفوارق وتتلاشى الحواجز وتنهار دونها الحدود . أما عملية التبادل المادي (الاقتصادي والتجاري) فهي تربط المجتمعات المحلية (Localize) بينما التفاعل السياسي يعمل على تدويل العلاقات (internationalize) ولكن الثقافة هي التي تعولم (Globalize) ."[38]

إذن يمكن القول أن العولمة الثقافية قديمة وأهم ركائزها الأديان ، أما العولمة الجديدة فهي عولمة ثورة التقنية والمعلومات والاقتصاد التي توسع المعايير الاجتماعية – الثقافية لتصبح عالمية . وهذا يعني أن العولمة الثقافية تنطوي على تهديد للهوية الثقافية للمجتمعات المحلية وتشوه طابعها الحضاري وتقليص العلاقة الحميمة بين المثقف والحياة الاجتماعية وتضاؤل المجالات الإبداعية وتحويل الثقافة إلى سلعة وتشويه تراث الأمة الإسلامية وتهميش لغتنا القومية وتعويق خطنا في تعريب العلوم بسبب وسائط العولمة التي تجعل اللغة الإنجليزية لغتها ذات السيادة (نسبة 70%).

الثقافة العولمية ليست نسقا مجتمعاتياً لإنتاج وإعادة إنتاج وتداول الفكر والمعرفة فحسب بل أيضاً نمط لتسريع دورة هذا النسق وتعميمه كجزء من عملية الاستهلاك . وبما أن الثقافة هي نظاماً للقيم والتصورات والتمثلات السائدة في مجتمع فإن ثقافة العولمة تسعى '' لتكريس وتعميق وتعميم نموذج ... أو فرض نمط ثقافي واحد وموحد ، إحدى ركائزه الكبرى قيم الاستهلاك وثقافة الاستهلاك . والثقافة العالمية الجديدة لا تأخذ أشكالاً إقتصادية ومادية محضة فحسب بل تأخذ لها أيضاً أشكالاً رمزية وجمالية وتصبح الصورة فيها هي الأساس والمركز."[39]

وعندما تمتطي هذه الثقافة صهوة الإعلام الدولي الجامح وتدخل في نسيج العنكبوتية تظهر هنا خطورة العولمة على المجتمع المسلم والهوية الإسلامية. وأدت هذه الهمجية الثقافية العولمية إلى إهتزاز المنظومة القيمية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية فبدأت تضعف علاقاتنا الاجتماعية والروابط الأسرية وكذلك بدأت تضعف قيم التكافل الاجتماعي لأن ثقافة العولمة تستغرقنا وتغرقنا بتقنيات بل بمضامين تسحب منا عامل الزمن والفراغ والعبادة وصلة الرحم وتجعلنا ببريقها (الاستهلاكي)

نسرف في كل شيء والاسراف والتبذير – في المادة والمال والزمن – نهى عنها الإسلام. لذلك نحتاج إلى جهد تأصيلي يركز على إعادة توجيه القيم لتتسق مع نظام القيم الإسلامية.

إن من شأن التأصيل توحيد المنهج لمقابلة مثل هذه التحديات . إن توحيد المنهج من خلال رؤية تأصيلية – تجديديه يساعد على تقديم صورة صحيحة لقيم الإسلام ومشروعه النهضوي ويوحد اللغة والخطاب.

إن العولمة في نظر بعض الباحثين تشجع عوامل التفتت والانقسام داخل المجتمعات الأخرى فهناك شرائح في المجتمع الواحد تتعولم بحسب إمكانيتها المادية وتواصلها مع الخارج بينما تبقى الأقلية خارج إطار الحداثة وخارج زمن العولمة ولذلك تثير العولمة التناقضات الطبيعية والعرقية والدينية وتؤدي إلى توترات داخلية و "تتيح تفتيت البني الثقافية والأخلاقية وأنظمة القيم داخل كل مجتمع ، وداخل كل حضارة لمصلحة تيار الحداثة."[40]

وهذا الوضع يفرض على المجتمع المسلم مسؤوليات تربوية في الأسرة والمدرسة والحياة الخاصة والعامة لتحصين أجيالنا ضد هذا الطوفان والتيار الثقافي المادي – العلماني – الغربي المتعولم الذي يتدفق بواسطة الإنترنت والتلفزيون والسينما والصحافة تحت ذريعة الحداثة .

إن الهدف من العولمة هو تكوين الإنسان الجديد. لكنه الإنسان "المملوك والمصادر إعلامياً الغارق في الشكلية ، الخالي من أي مضمون .. إنه الإنسان المادي الذي تقوم حياته على الاستهلاك المحض ، وعلى اللذة والمتع الحسية ، الخالي من القيم والأخلاق. " [41]

إتخذت الحركات الإسلامية في مواجهة العولمة مواقف متباينة بين رافض ومندمج بصورة مطلقة . ولكن الموقف الموضوعي هو التوفيق حيث أن الإندماج المطلق والاستجابة لكل مقتضيات العولمة ، والتخلي عن كل الخصوصيات التي تميز الشخصية، هذا موقف إستسلامي إنهزامي؛ كما أن الانسحاب والتشبث بالمحلية غير واقعي ولا يمكن تحقيقه لأن العولمة تخترق الأسوار وتتجاوز الحدود . ولذلك يكون الموقف الصحيح هو في إدارة العملية الثقافية الاقتصادية الإعلامية ، وبالتواصل مع العالم الخارجي بحيث نولّد عولمتنا الخاصة على قاعدة الثوابت الإسلامية التي تتسم بها الأمة الإسلامية والأمة العربية.

إذن لحماية هويتنا الإسلامية من مهددات العولمة ينبغي التعامل مع العولمة بوعي. وأن نتجه نحو بناء تحصين ثقافي يتكامل مع عملية تأصيل إعلامي لأن الإعلام هو حامل الثقافة، والثقافة أهم مرتكزات الهوية. هذا الوعي مهم جداً في عصر العولمة الراهن إذ أن ثورة المعلومات والعولمة تستخدم الفضائيات والإنترنيت لقهر الثقافات الأخرى. فالقنوات الإتصالية ليست محايدة بل تحمل مضامين ورؤي ينبغي التعامل معها بحذر وبرؤية تنطلق من تصور إسلامي معاصر في سياق الصراع الحضاري الجديد.

لكن كل ما ورد لا يتعدى تشخيص للحالة. بمعنى أنه يجب أن نتجاوز "نظرية المؤامرة" لأننا عندما نستسلم لنظرية المؤامرة أو نردد تلك المقولات التي تختزل العملية في غزو فكري أو استلاب ثقافي فإننا نستديم حالة الهشاشة والضعف والقابلية للإختراق. هذا يستدعي أن نتجاوز ذلك إلى موقف أكثر وعياً وارادة دافعة بحيث ننطلق من مستوى الفكر والنظر إلى مرحلة الفعل والعمل. وذلك من خلال صياغة استراتيجية مضادة تقوم على تقوية نسيج المجتمع المسلم بتفعيل مؤسساته الإجتماعية والثقافية والتربوية والإعلامية وأن نضخ في عقلية كوادرها الوعي بمهددات ومخاطر المرحلة حتى تستطيع تلك المؤسسات أن تقوم بدورها في مواجهة العولمة والتفاعل مع معطياتها بايجابية دون أن نكون عُرضة للإختراق أو التذويب في ثقافة العولمة.

الهوامش

1- ألان ريان: البروفيسر هيجل في طريقه إلى واشنطن، ترجمة محمد السماك، مجلة الإجتهاد، العددان 15، 16، السنة الرابعة، ربيع وصيف 1992، ص 277.

2- Foreign Affairs, 72, Summer 1993.

3- Newsweek, November 21, 1994.

4- هانس – بيتر مارتين وهارالد شومان، ترجمة: د.عدنان عباس علي، فخ العولمة: الاعتداء علي الديمقراطية والرفاهية، الكويت: عالم المعرفة (238)، 1998، ص 23.

5- غسان العزي، جذور العولمة وإشكالياتها، مجلة منبر الحوار، بيروت، العدد 37، شتاء 1999، ص 48.

6- عبد الحي يحي زلّوم، نذر العولمة: (هل بوسع العالم أن يقول 'لا' للرأسمالية المعلومالية) ، ط1 ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1999 ص 10.

7- Malcolm Waters, Globalization , Key Ideas, London and New York: Routledge, 1995, PP.1-2

8- Malcolm Waters, Ibid, P.2.

9- المصدر نفسه، ص 3.

10- المصدر نفسه، ص 8.

11- المصدر نفسه، ص 15.

12- المصدر نفسه، ص ص 16 - 17.

13- د. محمد عابد الجابري، حديث صحفي لجريدة المستقلة، لندن، العدد 170، 1997/8/11.

14- مجلة الحوادث العدد 2243، 1999/10/29 ، ص 64.

15- برهان غليون '' هل تعني العولمة عودة الاستعمار بثياب جديدة ؟.'' ، صحيفة الأنباء ، الخرطوم العدد 906 ، 1999/12/13.

16- محمد مهدي شمس الدين: '' العولمة وأنسنة العولمة''، في مجلة منبر الحوار، مجلة فصلية، العدد 37، بيروت: الفلاح للنشر والتوزيع، شتاء 1999. ص ص 5-6.

17- هانس بيتر مارتين فخ العولمة، المصدر السابق، ص 11.

18- وكالة الصحافة العربية، خدمة خاصة، صحيفة الرأي العام السودانية، الخرطوم، العدد 1146، 27 2000/10.

19- Water Lipmann, "The World Outside and the Picture in Our Heads". In: *The Process and Effects of Mass Communication*, by Wilbur Schramm and Donald F. Robert, (eds.), University of Illinois Press 1977, P265.

20- بول فيندلي، من يجرؤ علي الكلام؟ بيروت، 1986، ص 483.

21- د. جلال أمين، '' المسلمون في مواجهة ثورة المعلومات'' في مجلة المجتمع، العدد 1344، 1999/4/6.

22- سمير أمين، العولمة: مناخ العصر، رؤية نقدية في العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي: ندوة مركز البحوث العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999، ص 59.

23- د. جلال أمين، مجلة المجتمع، المصدر السابق، ص 24.

24- زياد أبو غنيمة، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، دار عمارة عمان (الأردن)، 1989، ص 99.

25- المصدر نفسه، ص ص 29 - 35.

26- د.مختار عثمان الصديق، '' الإعلام الإسلامي المعاصر''، في مجلة أفكار جديدة، الخرطوم: هيئة الأعمال الفكرية، العدد (4)، مارس 1999.

27- زياد أبو غنيمة، المصدر السابق، ص 67.

28- المصدر نفسه، ص 51- 53.

29- المصدر نفسه، ص ص، 61-62.

30- المصدر نفسه، ص 63.

31- للمزيد من التفاصيل أنظر: الدكتور محي الدين عبد الحليم، '' إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية ''، كتاب الأمة، قطر: رئاسة هيئة المحاكم الشرعية، العدد (64)، ربيع 1419هـ. كذلك أنظرM.Waters المصدر السابق ، ص 132.

32- غادة السماني، مجلة الحوادث، العدد 2242، 1999/8/13م.

33- فهمي هويدي، مجلة المجلة، العدد 959 ،1998/6/28، ص 32.

34- المصدر نفسه، ص 33.

35- Malcolm Waters, I bid, P124

36- المصدر نفسه، ص ص 125 - 126.

37- المصدر نفسه، ص ص 130 - 131.

38- المصدر نفسه، ص 14.

39- يحي اليحياوي، العولمة الموعودة، الرباط: منشورات عكاظ، 1999، ص ص 114-115.

40- محمد مهدي شمس الدين المصدر السابق، ص 8.

41- المصدر نفسه، ص 12.